المعارضات في شعر آل جزي

"النظرية والتطبيق"

إعـــــداد

الباحثة/ صباح محمود إبراهيم
معيدة بكلية الآداب- جامعة أسيوط
قسم اللغة العربية

تاريخ الاستلام : ١٧/١١/٢٠٢٢م
تاريخ القبول : ٢٧/ ١١/٢٠٢٢م

الملخص:

إن المتأمل في شعر آل جزي يجد أنه قد تنوعت أشعارهم في مجالات شتى، ومن هذه المجالات شعر المعارضات، وقد درست الباحثة هذه المعارضات لبيان أوجه التميز والقصور، وقد وقع الاختيار على معارضة بين أبي عبد الله بن جزي وقيس لبنى، ومما دعاني لاختيار هذا البحث تميز هذه المعارضة واتفاق النقاد على نسبتها لأبي عبد الله بن جزي، والتزمت في هذا البحث المنهج النقدي المقارن، وقد جاء البحث في المقدمة والمبحثين والخاتمة، احتوت المقدمة على أهمية الموضوع وأسباب الاختيار والمنهج والخطة، أما المبحث الأول فقد تكلمت فيه عن المعارضات التعريف والأنواع، واحتوى على مطلبين الأول تعريف المعارضة لغًة واصطلاحًا، والثاني في أنواع المعارضات، وجاء المبحث الثاني في معارضة ابن جزي لقصيدة قيس لبنى دراسة موازنة، وخاتمة بها أهم النتائج والتوصيات، ثم ذيلت البحث بفهرس لأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: المعارضة الشعرية، أبو عبد الله بن جزي، قيس لبنى.

Abstract:

In-depth study of the poetry of Al- Jazzi, we will find that his poetry has varied in various fields, and among these areas, is the poetry of oppositions. The researcher studied these oppositions to show the distinctions and shortcomings, and the choice was made on an opposition between Al-Jozzi and Qais Lubna.

What prompted me to choose this research was the distinction of this opposition and the agreement of critics on its attribution to Al-Jozzi. In this research, I adhered to the comparative critical method. The research contains an introduction, two chapters and a conclusion. In the first part, I talked about the definitions and types of oppositions, It contains two topics, the first is the definition of opposition in terms of language and terminology, and the second is the types of opposition.

The second part is about the opposition of Al-Jozzi to Qais Lubna, then I made a study, and a conclusion with the most important results and recommendations, then the research is appended with an index of the most important sources and references.

And may God's blessings and peace be upon our master Muhammad and his family and companions.

مقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه،

أما بعد،،،

فمن المُسلَّمات التاريخية التي لم يختلف عليها النقاد والباحثون أن طبيعة الأندلس الخلابة قد أذهلت العقول والقلوب، وفتنت الأبصار والألباب، وأجرت الشعر على ألسنة أهلها؛ ومن ثم أصبح جُلُّ أهل الأندلس شعراء، حتى القضاة والمفسرين والفقهاء، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد بن محمد بن جزي.

إن المتأمل في شعر أبي عبد الله محمد بن محمد بن جزي يجد أنه قد تنوعت أشعاره في مجالات شتى، ومن هذه المجالات شعر المعارضات، وقد درست الباحثة هذه المعارضات لبيان أوجه التميز والقصور فيها.

والذي دعاني لاختيار الموضوع أسباب من أهمها:

- قلة الدراسات التي تناولت شعر المعارضات عند أبي عبد الله ابن جزي.
- اتفاق النقاد على نسبة هذه القصيدة المعارضة لأبي عبد الله ابن جزي.

منهج البحث:

التزمت في هذا البحث المنهج النقدي المقارن، وذلك لمناسبته لموضوع البحث.

خطة البحث:

جاء الباحثة في مقدمة ومبحثين وخاتمة، احتوت المقدمة على أهمية الموضوع وأسباب الاختيار والمنهج والخطة، أما المبحث الأول فقد تكلمت فيه عن المعارضات التعريف والأنواع، واحتوى على مطلبين الأول تعريف المعارضة لغَة واصطلاحًا، والثاني في أنواع المعارضات، وجاء المبحث الثاني في معارضة أبي عبد الله محمد بن جزي لقصيدة قيس لبنى، وخاتمة بها أهم النتائج والتوصيات، ثم ذيلت البحث بفهرس لأهم المصادر والمراجع.

المبحث الأول

المعارضة التعريف والأنواع

المطلب الأول ـ تعريف المعارضات لغة واصطلاحًا:

المعارضة في اللغة مشتقة من مادة عرض ولهذه المادة في معاجم العرب اشتقاقات شتى ومعانٍ متفرقة، وما يعني البحث منها ما جاء في معجم العين بأن مادة عرض من: "عَرُضَ الشيء يعرُضُ عرضًا، وعارضته بمثل ما صنع، إذا أتيت إليه بمثل ما أتي إليك"[١] وتقول: "عارضت فلانا في السير، إذا سرت حياله، ومنه اشتقت المعارضة".[٢]

إذن المعارضة إتيانك بشيء مثل ما أتى به غيرُك سيرًا على نهجه، فهي بالمعنى المعنوي من إتيان الشيء تقترب من المعنى المادي والفعلي للسير على وجه الحقيقة.

أما المعارضة في الاصطلاح فلا يختلف معناها عن المعنى اللغوي؛ ف "المعارضة أن ينظم الشاعر قصيدة على نمط قصيدة لشاعر آخر يتفق معه في بحرها ورويها وموضوعها سواء أكان الشاعران متعاصرين أم غير متعاصرين"[٣]

ولعل الأسباب التي تدفع الشاعر إلى معارضة قصيدة غيره لا تخرج عن سببين هما:

- الإعجاب والتأثر الشديد الذي يجعل الشاعر يُقْدِمُ على التقليد والمحاكاة.[٤]
- إظهار جانب التفوق والقوة على شاعر آخر أو بالأحرى دافع التحدي.

- قد قصر د/ عبد الرحمن إسماعيل دافع المعارضة على الإعجاب فقط، والباحثة تختلف معه في ذلك؛ فقد يكون الدافع من المعارضة لدى الشاعر إظهار براعته وتفوقه.[٥]

وعلى كل "إذا كان الشعر هو إجادة المعارضة وإجادة الأخذ"[٦] فالمعارضة غير معيبة بل هي أساس مهم من أسس التفوق.

المطلب الثاني- أنواع المعارضات:

بعد البحث والاستقصاء تبين أن المعارضة لا تخرج عن نوعين وهما: المعارضة التامة والمعارضة الناقصة، ومنها الصريح ومنها الضمني، ولكن الباحثة ترى أن النوع التام هو نفسه النوع الصريح، وكذا الناقص هو الضمني، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولًا- المعارضة التامة أو الصريحة:

هي تلك التي "توافق القصيدة المتأخرةُ المتقدمةَ في وزنها وقافيتها وأن يكون الغرض منهما واحدًا أو مماثلًا، بحيث تكون القصيدة المتأخرة صدى واضحًا للقصيدة المتقدمة بدافع الإعجاب[٧]"، والشاعر في هذا النوع من المعارضة تكون "طريقته التزام المعاني الأصلية ومحاولة عكسها أو الزيادة فيها".[٨]

ثانيًا- المعارضة الناقصة أو الضمنية:

وفيها لا يلتزم الشاعر بأركان المعارضة التامة، وقد نص على ذلك إحسان عباس بقوله: "وهناك معارضة لا تلتزم روي القصيدة التي يعارضها وإنما هو ينظر فيها إلى معاني قصيدة سابقة ثم ينشئ قصيدة تتضمن هذه المعاني مع شيء من التقليب والتغيير والعكس والإسهاب"،[٩] أو هي "ما تجاوزت الشكل الخارجي إلى قلب العملية الإبداعية وما يتصل بها من تصوير أو تعبير، أي إنها تتجه إلى المضمون

والأسلوب والتراكيب التعبيرية دون الاعتماد على وزن أو قافية القصيدة السابقة وهذا سبب خفائها على القارئ، وهذا النوع من المعارضة قد يتم في بيت واحد أو بمجموعة من الأبيات أو في قصيدة كاملة؛ لأنها تتجه أصلًا إلى معارضة الفكرة".(١٠)

ولعل هذا النوع من المعارضات أكثر ما يكون في حالة إعجاب الشاعر بقصيدة غيره أما إذا كان الشاعر يهدف إلى التفوق والتحدي فإنه سيكون حريصًا على الالتزام بأركان المعارضة التامة لأنه يرمي من وراء هذه المعارضة بيان تغلبه على الشاعر المُعَارَضِ، لذا ترجح الباحثة أن المعارضة الضمنية أو الناقصة نادرة الوجود في حالة رغبة الشاعر المُعَارِضِ في التحدي.

المبحث الثاني

المعارضات في شعر آل جزي

إن الشعر الذي وصلنا لشعراء آل جزي لم يشتمل على معارضات شعرية، فالمعارضات لم تكن شائعة ولا سمة تميز بها شعر آل جزي، إلا ما جاء في شعر أبي عبد الله محمد بن جزي الذي عارض شعراء من العصر العباسي والأموي وفي بلاد الأندلس أيضًا، ومن ذلك **معارضته لقيس لبنى:**

نص على هذه المعارضة ابن الخطيب في الكتيبة، فقال: "ومن الغراميات التي سلك فيها مسلك قيس ليلى"(١١)، فكلمة سلك مسلك فلان أي اتبع أسلوبه(١٢).

وقيس بن ذريح أو قيس لبنى شاعر أموي، وهو معروف بشعره الغزلي في محبوبته لبنى، عارضه أبو عبد الله بن جزي بقصيدة معارضة تامة صريحة، فكلتا القصيدتين على بحر الطويل، بقافية حرف القاف على روي القاف المضمومة، في غرض الغزل.

وجاءت قصيدة قيس لبنى في ثمانية وعشرين بيتًا، وهي: [الطويل](١٣)

تَكـــادُ بِـــلاذُ اللهِ يـــا أُمَّ مَعمَـــرِ ... بِمـــا رَحُبَـــت يَومـــاً عَلَـــيَّ تَضـــيقُ

تُكَـــذِّبُني بِـــالوِدِّ لُبنـــى وَلَيتَهـــا ... تُكَلَّـــفُ مِنّـــي مِثلَـــهُ فَتَـــذوقُ

وَلَـــو تَعلَمـــينَ الغَيـــبَ أَيقَنـــتِ أَنَّنـــي ... لَكُـــم وَالهَـــدايا المُشـــعَراتِ صَـــديقُ

تَتـــوقُ إِلَيـــكِ الـــنَفسُ ثُـــمَّ أَرُدُّهـــا ... حَيـــاءً وَمِثلـــي بِالحَيـــاءِ حَقيـــقُ

أَذودُ سَـــوامَ الـــنَفسِ عَنـــكِ وَمـــا لَـــهُ ... عَلـــى أَحَـــدٍ إِلّا عَلَيـــكِ طَريـــقُ

فَـــإِنّي وَإِن حاوَلـــتِ صَـــرمي وَهِجرَتـــي ... عَلَيـــكِ مِـــنَ اِحـــداثِ الـــرَدى لَشَـــفيقُ

وَلَـــم أَرَ أَيّامـــاً كَأَيّامِنـــا الَّتـــي ... مَـــرَرنَ عَلَينـــا وَالزَمـــانُ أَنيـــقُ

وَوَعـــدُكِ إِيّانـــا وَلَـــو قُلـــتِ عاجِـــلٌ ... بَعيـــدٌ كَمـــا قَـــد تَعلَمـــينَ سَـــحيقُ

وَحَـــدَّثتَني يـــا قَلـــبُ أَنَّـــكَ صـــابِرٌ ... عَلـــى البَـــينِ مِـــن لُبنـــى فَسَـــوفَ تَـــذوقُ

فَمُـــت كَمَـــداً أَو عِـــش سَـــقيماً فَإِنَّمـــا ... تُكَلِّفُنـــــي مـــــالا أَراكَ تُطيـــــقُ

أَطَعـــتَ وُشـــاةً لَـــم يَكُـــن لَـــكَ فـــيهِمُ ... خَليـــلٌ وَلا جـــارٌ عَلَيـــكَ شَـــفيقُ

فَـــإِن تَـــكُ لَمّـــا تَســـلُ عَنهـــا فَـــإِنَّني ... بِهـــا مُغـــرَمٌ صَـــبٌّ الفُـــؤادِ مَشـــوقُ

يَهـــيجُ بِلُبنـــى الـــداءُ مِنـــي وَلَـــم تَـــزَل ... حُشاشَـــةُ نَفســـي لِلخُـــروجِ تَتـــوقُ

بِلُبنـــى أُنـــادى عِنـــدَ أَوَّلِ غَشـــيَةٍ ... وَلَـــو كُنـــتِ بَـــينَ العائِـــداتِ أُفيـــقُ

إِذا ذُكِـــرَت لُبنـــى تَجَلَّتـــكَ زَفـــرَةٌ ... وَيَثنـــي لَـــكَ الـــداعي بِهـــا فَتَفيـــقُ

شَـــهِدتُ عَلـــى نَفســـي بِأَنَّـــكِ غـــادَةٌ ... رَداحٌ وَأَنَّ الوَجـــهُ مِنـــكِ عَتيـــقُ

وَأَنَّـــكِ لا تَجزينَنـــي بِصَـــحابَةٍ ... وَلا أَنـــا لِلهِجـــرانِ مِنـــكِ مُطيـــقُ

وَأَنَّـــكِ قَسَّـــمتِ الفُـــؤادَ فَنِصـــفُهُ ... رَهـــينٌ وَنِصـــفٌ فـــي الحِبـــالِ وَثيـــقُ

صَـبوحي إِذا مـا ذَرَّتِ الشَـمسُ ذِكـرَكُم ... وَلـــي ذِكـــرُكُم عِنـــدَ المَســـاءِ غَبـــوقُ

إِذا أَنـــا عَزَّيـــتُ الهَـــوى أَو تَرَكتُـــهُ ... أَتَـــت عَبَـــراتٌ بِالـــدُموعِ تَســـوقُ

كَـــأَنَّ الهَـــوى بَـــينَ الحَيـــازيمِ وَالحَشـــا ... وَبَـــينَ التَراقـــي وَاللُهـــاتَ حَريـــقُ

فَـــإِن كُنـــتِ لَمّـــا تَعلَمـــي العِلـــمَ فَاِســـأَلي ... فَـــبَعضٌ لِـــبَعضٍ فـــي الفِعـــالِ فَـــأوقُ

سَـلي هَـل قَلانـي مِـن عَشـيرٍ صَـحِبتُهُ ... وَهَـــل مَـــلَّ رَحلـــي فـــي الرِفـــاقِ رَفيـــقُ

وَهَـل يَجتَـوي القَـومُ الكِـرامُ صَـحابَتي ... إِذا اِغبَـرَّ مَخشـيُّ الفَجـاجِ عَميـقُ

وَأَكـتُمُ أَسـرارَ الهَـوى فَأُميتُهـا ... إِذا بـاحَ مَـزّاحٌ بِهُـنَّ بَـروقُ

سَـعى الـدَهرُ وَالواشـونَ بَينـي وَبَينَهـا ... فَقُطِّـعَ حَبـلُ الوَصـلِ وَهـوَ وَثيـقُ

هَـلِ الصَـبرُ إِلّا أَن أَصُـدَّ فَـلا أُرى ... بِأَرضِـكِ إِلّا أَن يَكـونَ طَريـقُ

أُريـدُ سُـلُوّاً عَـنكُمُ فَيَرُدُّنـي ... عَلَيـكِ مِـنَ الـنَفسِ الشُـعاعِ فَريـقُ

يتضح من خلال قراءة القصيدة أنها غير مقسمة لأجزاء أو أغراض، فالقصيدة من أول بيت إلى آخر بيت يتحدث فيها الشاعر عن محبوبته ولوعة الهجر والرغبة في الوصل وكيفية الصبر والسلوى على بعده عن محبوبته، كما يبدو على القصيدة المشاعر الصادقة والحب المسيطر على كلماتها؛ فهو يعاني تجربة حقيقية لا لمجرد الكتابة في غرض شعري تواتر الشعراء وتوارثوا الكتابة فيه.

أما قصيدة **أبي عبد الله محمد بن جزي** فقد جاءت في عشرين بيتًا، وهي: (الطويل)

مَتَـى يَتَلَاقَـى شَـائِقٌ وَمَشُـوقُ؟ ... وَيُصْـبِحُ عَـانِي الْحُـبِّ وَهُـو طَلِيـقُ

أَمَـا أَنَّهَـا أُمْنِيَّـةٌ عَـزَّ نَيلُهَـا ... وَمَرْمَـى لِعَمْـرِي فِـي الرَّجَـاءِ سَـحِيقُ

وَلَكِنَّنِـي خَـدَعْتُ قَلْبِـي تِعِلَّـةً ... أَخَـافُ انْصِـدَاعَ الْقَلْـبِ فَهُـو رَقِيـقُ

وَقَـدْ يُـرْزَقُ الإِنسْـانُ مِـنْ بَعْـدَ يَأسِـهِ ... وَرَوضُ الرُّبَـى بَعْـدَ الـذُبُولِ يَـرُوقُ

بدأ الشاعر قصيدته بذلك السؤال الأزلي الذي طالما تساءله الشعراء والعشاق والمحبون قديمًا وحديثًا؛ وهو متى سيتلاقى المحبون وتنتهي فترة الانتظار والصبر، حتى يصبح المحب الذي يعاني الهجر وويلاته حرًا طليقًا من قيود أسره في الحب،

فهذه الأمنية قد عز نيلها على العشاق، ومع ذلك فإن الشاعر كثيرًا ما يخدع قلبه بالتعلل خشية على انكسار قلبه الرقيق، لعل ذلك المستحيل يتحقق يومًا فكم يرزق الإنسان بعد ما يفقد الأمل وقد يورق الروض الذابل مرة أخرى، ثم قال:

تَبَاعَـدْتُ لَمَّـا زَادَنِـي الْقُـرْبُ لَوعَـةً ... لِعَـلَّ فُـؤَادِي مِـنْ جَـوَاه يُفِيـقُ

وَرُمْـتُ شِـفَاءَ الـدَّاءِ بِالـدَّاءِ مِثْلِـه ... وإِنِـي بـأَلَّا أَشْـتَفِي لَحَقِيـقُ

وَتَـاللهِ مَـا للصَّـبِّ فِـي الْحُـبَّ رَاحَـةٌ ... عَلَـى كُـلِّ حَـالٍ إِنَّـه لَمَشُـوقُ

وَيَـا رَبِّ قَـدْ ضَـاقَتْ عَلَـيَّ مَسَـالِكِي ... فَهَـا أَنَـا فِـي بَحْـرِ الْغَـرَامِ غَرِيـقُ

وَلَا سَـلْوَةٌ تُرْجَـى وَلَا صَـبْرُ مُمْكِـنٌ ... وَلَـيسَ إِلَـى وَصْـلِ الْحَبِيـبِ طَرِيـقُ

وَلَا الْحُـبُّ عَـنْ تَعْـذِيبِ قَلْبِـي يَنْثَنِـي ... وَلَا الْقَلْـبُ للتَّعْـذِيبِ مِنْـهُ يُطِيـقُ

شُـجُونٌ يَضِـيقُ الصَّـدْرُ عَـنْ زَفَرَاتِهَـا ... وَشَـوقٌ نِطَـاقُ الصَّـبْرِ عَنْـهُ يَضِـيقُ

وبعدما وصف الشاعر حالته في وقت الفراق يذكر – على الرغم من هذه الحالة– أنه تباعد عن محبوبته متعمدًا لما لاقى اللوعة والشقاء في قربه منها، فقد يجعل ذلك البعد قلبه يفيق من غفلته، وهذا على سبيل العلاج أو كما يقول الحسن بن هانئ: "وداوني بالتي كانت هي الداء[١٤]"، ثم يقسم الشاعر بالله على أن العاشق لا يجد راحة على أي حال، فهو دائمًا يلجأ لله تعالى حيث غلقت أمامه السبل فهو كالغريق في البحر، فلا سلوة لقلبه ولا هو قادر على الصبر وليس أمامه سبيل إلى وصال محبوبته، وكذا قلبه في عذاب دائم وهذا القلب لا يطيق على التعذيب صبرًا، كل هذه شجون ألمت بقلب الشاعر وضاق بها صدره، كما سيطر على فؤاده شوق

يجزع منه الصبر، فقد جعل الشاعر من الصبر نفسه إنسانًا يجزع ولا يطيق صبرًا، ثم يستأنف قائلًا:

نَثَـرْتُ عُقُـودَ الـدَّمْعِ ثُـمَّ نَظَمْتُهَـا ... قَرِيضًـا فَـذَا دُرٌّ وَذَاكَ عَقِيـقُ

بَكَيْتُ أَسَى حَتَّى بَكَى حَاسِدِي مَعِي ... كَـأَنَّ عَـذُولِي عَـادَ وَهُـو صَـدِيقُ

وَلَـو أَنَّ عِنْـدَ النَّـاسِ بَعْـضَ مَحَبَّتِـي ... لَمَـا كَـانَ يُلْفَـى فِـي الْأَنَـامِ مُفِيـقُ

أيَـا عَـينُ كُفَّـي الـدَّمْعَ مَـا بَقِـي الْكَـرَى ... إِذَا مَنَعُـوكِ النَّـومَ سُـوفَ تَـذُوقُ

ويَـا نَائِمًـا عَـنْ نَـاظِرَيَّ أَمَـا تَـرَى ... لِشَمْسِكَ مِنْ بَعْدَ الْغُرُوبِ شُرُوقُ؟

رُوَيْـدَكَ رِفْقًـا بِـالْفُؤَادِ فإِنَّـهُ ... عَلِيـكَ وإِنْ عَادِيتَـه لَشَـفِيقُ

نَقَضْـتَ عُهُـودِي ظَالِمًـا بَعْـدَ عَقْـدِهَا ... أَلَا إِنَّ عَهْـدِي كَيـفَ كُنْـتُ وَثِيـقُ

كَتَمْتُـكَ حُبِّـي يَعْلَـمُ اللهُ مُـدَّةً ... وَبَـينَ ضُـلُوعِي مِـنْ هَـوَاكَ حَرِيـقُ

فَمَا زِلْتَ بِي حَتَّى فُضِحْتُ فإِنْ أَكُنْ ... صَبِرْتُ فَبَعْدَ الْيَومِ لَسْتُ أَطِيقُ[١٥]

ثم يصف الشاعر دموعه وكأنها عقد انفرطت منه حباته فهي منثورة أمامه، فنظمها هذا العاشق شعرًا، ووجه الشبه بين الشعر ودموعه أن الشعر كالدر ودموعه كالعقيق –وهي الأحجار الكريمة الحمراء اللون– وفيه توظيف بارع للون الأحمر في عينيه من كثرة البكاء، فدموعه تحولت إلى اللون الأحمر تمامًا كالعقيق، كما أن الشاعر من عظيم الأسى والحزن الذي ألم به بكى حتى أشفق عليه حاسدوه وكأنهم انقلبوا له أحبابًا، كما يذكر الشاعر أنه محب للناس جميعًا، فكم يتمنى أن لو كان عند الناس بعض ما في قلبه من الحب، ثم يوجه الشاعر الخطاب لعينه بأن تكف عن البكاء، كما يخاطب محبوبته واصفًا إياها ب"نائمًا" – وكأنها تحظى بما حُرِمَ منه – ثم

سألها أما آن لشمسها أن تشرق مجددًا لتنير ظلمات قلبه وتحيل الليل صبحًا؟، ثم يطلب منها أن تتمهل وترفق على قلبه الذي طالما أحبها، فإنه جعلها طي صدره زمانًا، وكان هذا الكتمان كالحريق المضرم بين ضلوعه، ولكنه لم يستطع صبرًا على الكتمان بعد، فحاله تنبئ بما يكتمه من هوى وعشق قد تملكه.

والمتأمل في قصيدة أبي عبد الله يجد أنها كانت غير مقسمة على أجزاء وأغراض، وقد أجاد في غزليته؛ فأتى بألفاظ بديعة رائعة مناسبة للمقام كما تميزت بالرقة والمرونة والجزالة، ووظف فيها الشاعر المحسنات البديعية بنوعيها اللفظية والمعنوية بما يخدم المعنى، كما أن الشاعر أحسن استعمال أفعال الحركة واللون وذلك من بداية القصيدة حتى منتهاها.

وبعد مراجعة القصيدتين يبدو أنهما كانتا دفقة شعورية واحدة مع انتشار الحكمة في بعض الأبيات؛ حيث استطاع الشاعران إدخالها بحنكة في سياق الغزل والهجر، وذلك باستثناء بيت واحد عند أبي عبد الله يمدح فيه شعره وهو:

نَثَـرْتُ عُقُـودَ الـدَّمْعِ ثُـمَّ نَظَمْتُهَـا قَرِيضًـا فَـذَا دُرٌّ وَذَاكَ عَقِيـقُ

ولعل مرد ذلك إلى أن قصيدة أبي عبد الله كانت للتقليد لا الابتكار، فهي لم تكن نابعة عن تجربة ذاتية، وعلى الرغم من ذلك فإن قصيدة أبي عبد الله كانت أكثر رقة وجزالة، سهلة الألفاظ قريبة المعنى، وربما كان السبب في ذلك طبيعة الشعر في الأندلس تلك الفترة، الذي كان يميل في أغلبه إلى السهولة واليسر، وهذا ما ناسب حالة الألم والحزن ووصف الفراق وويلاته في القصيدة، فلا يُتعِبُ القارئ عقله للبحث في معاني الكلمات والمفردات.

وقد كان بين القصيدتين توافق في اللوازم الأسلوبية من دعاء ونداء واستفهام وغيرها، والقوافي تتفق اتفاقًا يكاد يكون تامًا في بعض الأبيات.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن المحبوبة في شعر أبي عبد الله كله كانت رمزًا للوطن الذي أُبعِدَ عنه وطُرِدَ منه[١٦]، والباحثة تختلف مع هذا الرأي حيث لا دليل على أنه قال هذه القصيدة بعد رحيله إلى المغرب، فكل من يوردها يأتي بها على سبيل التمثيل لشعره، كما أن الشاعر وإن لم يذكر عنه أنه عاش تجربة عشق، فإنه كالشعراء الفحول يكتب في كل غرض مثلما كتب في الغزل بالمذكر والخمر ومكانة الشاعر الدينية معروفة لا تخفى.

وجاء أيضًا عن إحدى الباحثات[١٧] أن المرأة والخمر قد يكونان رمزين صوفيين استخدمهما الشاعر، ولكن لم يأت في شعره أو ترجمته ما يدل على تصوفه،

وعليه تكون المرأة رمزًا للوطن في كل شعر أبي عبد الله، وهذا تأويل يرفضه سياق الأبيات، وبخاصة أنه كتب شعرًا بالفعل يصور حنينه للوطن يختلف عن القصيدة السابقة.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث استخلصت الباحثة عددًا من النتائج أهمها:

١- أن المعارضات ليست شائعة في شعر آل جزي، وكان أكثرهم معارضة أبا عبد الله.

٢- أن القصيدتين تميزتا بالرقة والجزالة والسهولة في الألفاظ.

٣- انفرد ابن جزي ببيت في الفخر بشعره.

٤- أن قصيدة قيس لبنى ثمانية وعشرين بيتًا، أما قصيدة أبي عبد الله فكانت عشرين بيتًا.

وأما أهم التوصيات فمنها:

١- دراسة شعر المعارضات عند أبي عبد الله من خلال نظريات أدبية حديثة، لبيان ما فيها من تميز أو قصور.

٢- التوسع في دراسة المعارضات الشعرية في العصر الأندلسي، لاسيما المتناثرة في غير كتب الأدب.

الهوامش

[١] العين (١/ ٢٧٢) وينظر كذلك جمهرة اللغة (٢/ ٧٤٨).

[٢] مقاييس اللغة (٤/ ٢٧٢).

[٣] عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، محمود رزق سليم، مكتبة الآداب ومطبعتها، المطبعة النموذجية، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م مج٨، ص٤٧٧.

[٤] يراجع: تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤م، ط٢، ص٧.

[٥] المعارضات الشعرية في ضوء النقد الحديث، عبد الرحمن إسماعيل، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية الآداب جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص١٣، نقلًا عن د/ مريم بنت سعيد في رسالتها: ابن جزي الأندلسي شعره ونثره، ص١٣٥.

[٦] تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، إحسان عباس، دار الثقافة– بيروت، ط:١، ١٩٦٠م (ص: ٢٨١).

[٧] المعارضات الشعرية في ضوء النقد الحديث، عبد الرحمن إسماعيل، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية الآداب جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص١٣، نقلًا عن د/ مريم بنت سعيد في رسالتها: ابن جزي الأندلسي شعره ونثره، ص١٣٥.

[٨] تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) إحسان عباس (ص: ١٥١).

[٩] المرجع السابق (ص: ١٥٢).

(١٠) المعارضات الشعرية في ضوء النقد الحديث، عبد الرحمن إسماعيل، ص١٦ نقلًا عن د/ مريم بنت سعيد في رسالتها: ابن جزي الأندلسي شعره ونثره، ص١٣٥.

(١١) جاء في الكتيبة قيس ليلى وليس قيس لبنى والقصيدة لقيس لبنى ولعله خطأ في ذكر الاسم، الكتيبة الكامنة (ص: ٢٢٥).

(١٢) ومثاله قول ابن الخطيب في الإحاطة: وقلت في أسلوب مهيار، رحمه الله، الإحاطة (٤/ ٤١٥) وقول الشيخ أبي عبد الله محمّد بن فرج، مخمسا لأبيات الإمام الشهير أبي الربيع بن سالم الكلاعي، رحمه الله، التي على رويها وقافيتها سلك ابن الآبار، رحمه الله، في الأبيات المذكورة آنفاً: أزهار الرياض (٣/ ٢٢٦).

(١٣) الديوان، شرح عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة لثانية، ٢٠٠٤م، ص٣٣.

(١٤) شطر بيت لأبي نواس الحسن بن هانئ الشاعر العباسي المعروف، وتمامه:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

ينظر: ديوانه (١/ ٢١).

(١٥) الكتيبة الكامنة (ص: ٢٢٥).

(١٦) يتوافق هذا القول مع رأي د/ مريم في أطروحتها ص١٥٢.

(١٧) ابن جزي الأندلسي شعره ونثره، ص١٥٣.

المراجع

١- ابن جُزَيّ الأندلسي شعره ونثره : دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير مقدمة من الباحثة: مريم بنت سعيد بن محمد آل جابر الشهراني، المملكة العربية السعودية، قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠٠٢م.

٢- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح مصطفى السقا وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.

٣- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، إحسان عباس، دار الثقافة– بيروت، ط:١، ١٩٦٠م.

٤- تاريخ النقائض في الشعر العربي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٥٤.

٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ط: ٤، ١٩٨٣م.

٦- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين– بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

٧- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، محمود رزق سليم، مكتبة الآداب ومطبعتها، المطبعة النموذجية، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م مج٨، ص٤٧٧.

٨- العين للخليل بن أحمد، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ط: دار ومكتبة الهلال (د.ت).

٩- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبد الله، تح: إحسان عباس، ط: ١، ١٩٦٣م.

١٠- المعارضات الشعرية في ضوء النقد الحديث، عبد الرحمن إسماعيل، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية الآداب جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١١- الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين ابن الخطيب، تح محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي- القاهرة- ١٣٩٣،١٩٧٣م.

١٢- مقاييس اللغة أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا تح/عبد السَّلام محمد هَارُون ط/دار الفكر ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.